

كيف ساد إسم بغداد
على إسم مدينة السلام والأسماء الأخرى

بقلم
الدكتور / عواد مجيد الأعظمي
أستاذ التاريخ الاسلامي المساعد
كلية الآداب - جامعة بغداد

١ - إستهلال:

حسب تقديري أن هذا السؤال لم يطرق ذهن أحد وان كان قد طرق، لكن لم يتقدم أحد لمعالجته وتبيان دوافعه وأسبابه...

رغم الأراء والأفكار المتعددة في تحليل اسم «بغداد» واشتقاقه، ولكن هذا الاسم قد دخل في صميم حضارتنا، وفي صميم تراثنا ولغتنا العربية.. فاصبح بذلك جزءاً لا يتجزأ من الحضارة والتراث. كما أصبح هذا الاسم-وعبر اثني عشر قرناً ونصف من بنائها-علماً عربياً وإسلامياً، وشريحة من شرائح تراثنا الانساني الخالد.. واصبح لاسم بغداد مكاناً راسخاً وعلى مختلف الأصعدة القطرية، والقومية والعالمية..

وقد أسهب المؤرخون والباحثون القدامى والمحدثون في البحث والكتابة والتأليف عن بغداد.

غير أني من خلال قراءاتي ودراساتي لمعظم هذه الأبحاث والمؤلفات قديمها وحديثها أخذت تختلج في نفسي بعض التصورات، وتتبلور في ذهني بعض الأفكار والآراء، وجدت أن لامناص من تدوينها وتسجيلها قد يكون لها من الأهمية في إعادة النظر في بعض التقويمات والآراء، وذلك من خلال

عرضها وتقديمها في ضوء ما سوف أبرزه من تحليل وتصور وإستنتاج قائم على النصوص التاريخية التي استقيتها من مصادرها الأولية والثانوية..

وعليه، فإني في بحثي هذا عن «بغداد» وكيف ساد إسمها وشاع على إسم «مدينة السلام» والأسماء الأخرى التي نعتت بها، إنما هو بحث لا يتعدّى عن كونه بحثاً أكاديمياً، صرفاً، باعتبار ذلك جزءاً لا يتجزأ من دراسة تراثنا العربي الاسلامي الخالد..

٢ - إختيار الموضع وأسماؤه:

رأى أبو جعفر المنصور(١) بعد أن انتقل مركز الخلافة من دمشق إلى العراق، أن لا بد من بناء عاصمة جديدة تتوفر فيها شروط ومواصفات خاصة بها من أمنية، واقتصادية وجغرافية.

ولغرض تحقيق هذه المواصفات، بدأ البحث والتفتيش عن بقعة من الأرض تتوفر فيها كل هذه الخصائص والمميزات.. ويعني هذا أن أبا جعفر المنصور قد صمم على ترك كل المدن، التي اتخذت عاصمة للخلافة العباسية في أول الأمر المشيدة منها والتي شيّدت على نهر الفرات، من الحيرة، والكوفة، والهاشمية، والأنبار... ويعني هذا أيضاً أن العاصمة الجديدة سيكون موقعها على نهر دجلة، وهذا ما قد تم فعلاً.

لا شك أن بقعة الأرض التي وقع عليها الاختيار لبناء المدينة الجديدة، كانت أرضاً زراعية، ومرعى للماشية، وموطن سكن لنفر من الناس، ولم تتعدّ عن كونها قرية من قرى طسوج بادوريا(٢)... وليس فيها إلا دير على مصب الصراة إلى دجلة يقال له «قرن الصراة»، ويسمى «الدير العتيق»(٣) والقرية هذه ما هي إلا عبارة عن أجمة ليس فيها

---

(١) وهو الخليفة العباسي الثاني: ١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٤-٧٧٥م.

(٢) أنظر: اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٥.

(٣) أنظر: نفسه، ص٥.

إلا كوخ واحد، وفيه رجل من الأولين[٤]، أو إنها لم تكن سوى بقعة من الأرض المزروعة تسمى «المباركة» لستين نفس عوضهم المنصور وأعطاهم فأرضاهم[٥]..

هذا هو معظم الوصف[٦]-إن لم يكن كله-الذي وردنا عن هذه القرية، والتي أصبحت موقع مدينة لأعظم عاصمة في العالم الاسلامي...

أما ما هي الأسماء التي كانت تنعت بها هذه القرية؟؟.. فقد ورد بذلك عدة أسماء منها:

١ -- أنها كانت تسمّى «بسوق البقر»[٧].

٢ - وإنها كانت تسمّى «بالعتيقة»[٨].

٣ - كما سميت «بالمباركة» أيضاً[٩].

إن الذي يهمنا توضيحه هنا، هو أن بعض مواضع هذه القرية قد حمل إسم «بغداد» أيضاً[١٠]... ولكن ترى:

---

(٤) أنظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج١، بيروت، ص٦٢.

(٥) أنظر: الذهبي، تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام، ج٦ القاهرة، ١٣٦٧، ص٢٠..

(٦) هناك ميزات وخصائص وردت قد تميز بها هذا الموقع منها اعتدال الجو، وقلة البق، والموقع التجاري المهم.

(٧) أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، الطبعة الحسينية، ج٩، ص٢٤١.

(٨) أنظر: نفسه، ج٩، ص٢٤١.

(٩) أنظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٦، ص٢٠.

وكان يحيط حول هذه القرية أسماء قرى وطساسيج عديدة منها: الخطابية وسرقانية، وكلواذي، وبروثا، وديربستان القس، وبراثا، وطسوج قطربل، وبادوريا والكرخ أو (كرخا) وهذه الأخيرة تعني مدينة بالآرامية:

أنظر: إبن الفقيه الهمداني، بغداد مدينة السلام، تحقيق، د. صالح أحمد العلي، بغداد، ١٩٧٧، ص٤٢-٥٠..

(١٠) لست هنا بصدد البحث عن أصل كلمة «بغداد» واشتقاقاتها أو سرد الآراء المتعددة في ذلك، حيث أن تفاصيل ذلك قد ورد بدقة واسهاب في المصادر الأولية والمراجع الثانوية نذكر منها بهذا الخصوص.

=

١ - هل أن هذه القرية كانت تحمل إسم «بغداد» سابقاً؟
٢ - أو هل أن هذه القرية قد سميت بإسم «بغداد» آنياً أي أثناء ما وقع اختيار أبي جعفر المنصور عليها لبناء مدينته الجديدة؟ . . .

وبخصوص السؤال الأول، فقد ورد أنه كان في هذه القرية سوق يسمى «بغداد» وذلك في غزوة للمثنى بن حارثة الشيباني عليها في سنة ثلاث عشرة للهجرة[١١] وكذلك ورد إسم «سوق بغداد» في حوادث عام ٧٦ للهجرة، كما يشير إلى ذلك الطبري، وابن الأثير[١٢].

أما بخصوص السؤال الثاني: فيبدو أن أبا جعفر المنصور لم يكن على علم مسبق أو بعبارة أخرى كان يجهل أن من جملة مواضع هذه القرية كان يسمى «بغداد» فقد ورد بذلك «أن المنصور عندما عزم على توجيه إبنه المهدي لغزو الصقالبة في سنة أربعين ومائة، فصار إلى بغداد فوقف بها وقال: ما اسم هذا الموضع؟، قيل له: بغداد[١٣]».

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، أن المنصور رغم جهله بإسم هذا الموقع، ولكن جاء إطلاق تسمية «بغداد» على هذا الموقع آنياً، وفي الوقت الذي وقع اختيار أبي جعفر المنصور عليه. . فقد ورد بذلك «أن المنصور

=
١ - الخطيب البغدادي-تاريخ بغداد أو مدينة السلام.
٢ - ياقوت الحموي، معجم البلدان.
٣ - اليعقوبي، كتاب البلدان.
٤ - لسترنج، بغداد في عهد الخلافة العباسية.
٥ - مصطفى جواد، دليل خارطة بغداد المفصل.
٦ - عبد العزيز الدوري، العصر العباسي الأول.
٧ - الأنسكلوبيديا الاسلامية، مادة بغداد.
٨ - جمال بابان، أصل أسماء المدن والمواقع العراقية.

(١١) أنظر: الهمداني، بغداد مدينة السلام، ص٢٩.
(١٢) أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٢٣٠، وإبن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، بيروت، ١٩٦٥، ص٤٠٤.
(١٣) أنظر: اليعقوبي، كتاب البلدان، ص١٦.

سأل رجلاً من الأولين هناك: ما اسمك؟ فقال: داذ. فقال له: وما يقال لهذا الموضع؟. فقال: هذا باغ لي. فقال: سمّوه باغ لدّاذ، أي - بستان لدّاذ، فسميت بغداد(١٤).

ومن أجل استخلاص حقيقة واضحة من كل ما ذكر أعلاه، نستطيع القول: ان هذه القرية-التي وقع اختيار أبي جعفر المنصور عليها لأن تكون مدينة لعاصمته الجديدة-كانت تحمل أسماء عديدة، ومنها إسم بغداد قبل وأثناء اختياره لها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن أبا جعفر المنصور لم يكن على علم مسبق بأي إسم من هذه الأسماء الآنفة الذكر. . . .

وحقيقة أخرى لا بد من الاشارة إليها وهي، أن أبا جعفر المنصور، عندما دخل في نفسه هذا الموقع أو تلك القرية لبناء مدينته الجديدة، لم يكن يهمه الأسماء العديدة التي كانت تحملها هذه القرية ولا حتى أسماء الأشخاص القاطنين فيها، بقدر ما كان يهمه الموقع نفسه وما تتوفر فيه من الشروط والمواصفات اللازمة فيه لبناء عاصمته الجديدة. . .

هذا إلى أن أبا جعفر المنصور حينما شرع في بناء مدينته الجديدة، وحتى بعد أن أكمل بناءها لم يدر في خلده-مقدّماً-إسماً معيناً يطلقه عليها حتى بعد أن فرغ من تشييدها. .

ترى ما هو الاسم الذي اختاره المنصور لمدينته الجديدة إذن؟، وكيف تم ذلك؟. . .

٣ - إسم مدينة السلام

لقد ترك أبو جعفر المنصور وتجاهل كل الأسماء التي ذكرناها آنفاً ومنها

---

(١٤) أنظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص٦٢.

ومن الملاحظ أن هذين المقطعين الفارسيين، لا يعني أن إسم بغداد فارسي وذلك لأن إسم: بغداد: كان ينطبق ويُدَوّن كلمة واحدة وذلك أثناء تحرير العرب للعراق ودخوله ضمن حضيرة العالم العربي الاسلامي كما سنشير إلى ذلك.

إسم «بغداد» ولم يختر منها إسماً معيناً ليكون «علماً» لمدينته الجديدة، بل فضل أن يختار إسماً عربياً يضم في أعماقه وجوهره معنىً دينياً سامياً، فوقع اختياره على إسم «مدينة السلام»[١٥]...

ومهما تعددت الدوافع التي دعت بأبي جعفر المنصور إلى مدينته الجديدة بإسم «مدينة السلام» فإن الاتفاق بين المؤرخين القدامى والمحدثين يكاد أن يكون إجماعياً على أن الاسم عربي إسلامي صرف لفظاً ومعنى...

فقد رغب أبو جعفر المنصور أن يطلق تسمية عربية إسلامية على مدينته الجديدة فدعاها «مدينة السلام»[١٦]..

ولعل المنصور قد تفاءل بما ورد في قوله تعالى: «لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون»[١٧] وقوله تعالى: «والله يدعو إلى دار السلام»[١٨]..

ومن المؤكد أن «دار السلام» فيها إشارة إلى الجنة وأن الفرس قد فهموا مدينة السلام أو دار السلام على هذا المعنى، وشاهد ذلك أنهم نقلوه

---

(١٥) تؤكد جميع المصادر الأولية المتقدمة منها والمتأخرة التي تناولت هذا الموضوع، ان أبا جعفر المنصور لم يكن يدر في خلده أن يسمي مدينته الجديدة باسم بغداد أو بأي إسم آخر منذ أن وضع الحجر الأساسي لها، بل بقي ينتظر إكمال بنائها الذي بدأ عام ١٤٥هـ/٧٦٢م، ثم انتقل إليها عام ١٤٦هـ/٧٦٣م، وافتتحها وسط حفل كبير ثم اختار لها - وبعد عرض أسماء عديدة - إسم مدينة السلام.

ومن هذه الأسماء التي طرحت، إسم مدينة أبي جعفر، وإسم المدينة المدورة، وإسم مدينة المنصور وغيرها كما سنشير إلى ذلك...

(١٦) فقد سكن بغداد وحواليها عناصر بشرية ذات ثقافات مختلفة ولكن المنصور إستطاع أن يسيطر على هذه الكتل، وذلك نظراً لتمسكه بالعروبة والاسلام، وتشجيعه النعرة العربية الاسلامية في البلاط.

أنظر: د. فاروق عمر، العباسيون الأوائل، ج٢ط(١) بيروت، ١٩٧٢ ص ٢٠.

(١٧) القرآن الكريم، سورة الانعام، آية، ١٢٧.

(١٨) القرآن الكريم، سورة يونس، آية، ٢٩.

إلى لغتهم فقالوا: «بهشت آباد» أي موضع الجنة، أو الجنة العامرة إذا شئت التدقيق، والفرس يستعملون هذه التسمية في الشعر غالباً كما يفعل الأتراك الذين نقلوها عنهم[١٩].

وقيل سمّاها المنصور مدينة السلام تفاؤلاً بالسلامة، يعني مدينة السلام[٢٠].

وقد ورد في كل من الهمداني وياقوت الحموي: «أنها سميت مدينة السلام لأن الله هو السلام، والمدائن كلها له، فكأنهم قالوا مدينة الله»[٢١].

ويشير الخطيب البغدادي: إن بغداد سميت حين سكنت مدينة السلام، فليس في الأرض مدينة على هذا الاسم غيرها، وكان بعض إخواننا إذا ذكرها يقرأ قوله: «بلدة طيبة ورب غفور»[٢٢].

ومن الآراء الأخرى التي تعزو تسمية هذه المدينة بإسم مدينة السلام، ذلك لأن دجلة كان يقال لها «وادي السلام»[٢٣].. وأن مدينة السلام منسوبة إلى نهر دجلة المدعو «نهر السلام»[٢٤]..

وعليه نستطيع أن نخلص من كل هذه الآراء والأفكار التي عرضناها حول تسمية المدينة التي شيّدها أبو جعفر المنصور بإسم «مدينة السلام»، إنها تدور كلها حول محور واحد، وهو أن هذا الاسم يجمع في لفظه ومعناه بين صفتين متلازمتين هما صفتا العروبة والاسلام، وعلى ضوء هاتين

---

(١٩) دائرة المعارف الاسلامية، مادة بغداد.

(٢٠) أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، طهران، ١٩٦٥، ص٤٥٣.

(٢١) أنظر: إبن الفقيه الهمداني، بغداد مدينة السلام، ص٢٧ وياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤٥٣.

(٢٢) أنظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج١، ص٥٠.

(٢٣) أنظر: إبن الفقيه الهمداني، بغداد مدينة السلام، ص٢٧.

(٢٤) أنظر: د. مصطفى جواد، دليل خارطة بغداد المفصل، بغداد، ١٩٥٨، ص٤٥.

الصفتين المتلازمتين قامت حضارتنا العربية الاسلامية مخلفة لنا وللأجيال الصاعدة هذا الزخم الحافل من التراث الانساني الخالد الذي نفخر به ونعتز . . . . .

٤ - كيف ساد إسم «بغداد» في الاستعمال؟

هكذا قدر لمدينة أبي جعفر المنصور أن تحمل اسمين تألق ذكرهما في التاريخ هما: إسم مدينة السلام وهو الاسم الرسمي لها، وإسم بغداد وهو الاسم المحلي الشعبي . . . يقول الهمداني: الناس يسمونها بغداد، والخلفاء يسمونها مدينة السلام (**)، وأود أن أؤكد، أني لست هنا في مجال تفضيل أحد هذين الاسمين على الآخر فالاسمان عربيان خالدان، خاصة وأن إسم بغداد قد دخل في صميم حضارتنا وتراثنا ولغتنا، كما أشرت إلى ذلك في مستهل بحثي . . ولكن أصبح من الواضح والجلي أن هذين الاسمين قد دخلا في تنافس وصراع من أجل السيادة في الاستعمال والتداول . . وكان من المفروض أن يسود إستعمال إسم مدينة السلام وتداوله على مختلف الأصعدة الرسمية والشعبية والتاريخية والأدبية، باعتباره صادراً عن خليفة المسلمين وأمير المؤمنين، وأنه أصبح إسماً رسمياً لعاصمة الدولة العباسية بل والعالم الاسلامي كله . . . ولكننا وجدنا أن إسم بغداد قد أخذ يزداد في الاستعمال والتداول، وأنه كان يبلغ إلى درجة من الشهرة والذيوع ما كان يغطي على إسم مدينة السلام، بل وقد ساد عليها فعلاً . . . لم كان ذلك؟ وما هي العوامل التي كانت تكمن وراء كل ذلك؟

وحسب تصوري أن هذا السؤال لم يطرق في ذهن أحد، وإن كان قد طرق، ولكن لم يتقدم أحد لمعالجته وتبيان دوافعه وأسبابه . . . .

وعليه، فقد أصبحت معالجة العوامل أو الدوافع التي كانت تكمن وراء سيادة إستعمال إسم بغداد على إسم مدينة السلام والأسماء الأخرى

(**) أنظر: الهمداني، بغداد مدينة السلام، ص١٢.

أمراً ضرورياً، وذلك لكي تعطينا الصورة الواضحة للمدى التاريخي في أهمية مدينة بغداد وإسمها، ولازالة الالتباس والسؤال الذي أخذ يساور أذهان بعض الناس-خاصة من عدم تغيير إسم بغداد إلى إسم مدينة السلام أو أي إسم آخر كما حصل في تغيير أسماء العديد من المدن العراقية..

ونستطيع أن نحصر هذه العوامل في أمرين أساسيين هما:

الأمر الأول: وهو على أساس الاستنتاج والتصور المستوحيين من روح النصوص والشواهد التاريخية ومضمونها..

والأمر الثاني: وسوف يكون واقعياً ومستنداً بالنصوص والشواهد التاريخية أيضاً.

وعليه فقد رأيت أن هذين الأمرين متلازمان ومرتبطان لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، وسوف أذكرهما هنا سوية وبشكل نقاط...

أولاً: إن إسم بغداد، إسم محلي وشعبي، نابع من لسان الانسان العربي الذي كان يسكن هذه البقعة ويستوطنها منذ آلاف السنين(٢٥).

وان العرب أثناء تحريرهم للعراق من نير السلطة الساسانية الفارسية كانوا ينطقون إسم بغداد نطقاً عربياً خالصاً ويدونونها كلمة واحدة بعيدة كل البعد عن أي مقاطع أعجمية أو فارسية(٢٦) وكما دونتها بذلك مصادرنا

(٢٥) يقول الدكتور مصطفى جواد: أن إسم بغداد كان شائعاً ومستعملاً قبل أن يبني أبو جعفر المنصور مدينته الجديدة على هذا الموضع، وإن تسمية بغداد كانت راسخة في أذهان سكان هذه المنطقة منذ أقدم العصور.

أنظر: د. مصطفى جواد، دليل خارطة بغداد المفصل، ص١٧.

(٢٦) رغم الفكرة الشائعة بين بعض المؤرخين القدامى والمحدثين من أن اسم بغداد اسم أعجمي فارسي، ولكن هناك آراء أكثر وثوقاً ودقة وقبولاً من اشتقاق إسم بغداد كان قد ورد في الآثار المسمارية الراجعة للألف الثاني عشر قبل الميلاد باسم «بغدود» أو «بكدود» وإن إسمها آرامي-واللغة الآرامية-كما هو معروف في أصولها وحروفها الأبجدية عربية.. وأن الاسم مكون من كلمتين في الآرامية: (ب) بمعنى «بيت» و =

الأولية في نصوصها التاريخية[27] وإلى هذا يشير الهمداني بأن الناس كانوا يسمونها بغداد[28].

وعليه فإن إسم بغداد كان معروفاً ومتداولاً بين الناس، ولكن كان ذلك على نطاق ضيق ومحدود كبقية الأسماء الأخرى التي كانت تسمى بها تلك القرية التي اختارها أبو جعفر المنصور لبناء مدينته الجديدة. ورغم أن اسمها قد ورد في غزوة للمثنى بن حارثة الشيباني في سنة ثلاث عشرة للهجرة «ولكن لم يجر لها ذكر في تاريخ الفتوح بعد هذه الحادثة إلى أن بنى المنصور مدينته عندها» على حد تعبير الهمداني[29].

ثانياً: سبق أن ذكرت أن القرية التي اختارها أبو جعفر المنصور لبناء مدينته الجديدة كانت تحمل أسماء متعددة، ولكن إسم بغداد قد غطى على بقية الأسماء هذه، وذلك عندما وضع أبو جعفر المنصور اللبنة الأولى بيده على موضع بغداد لبناء مدينته الجديدة[30]، وبهذا كان لبغداد الفوز الأول في شيوع إسمها في الاستعمال والتداول على بقية أسماء القرية الآنفة الذكر وخاصة على ألسنة من كان حاضراً مع أبي جعفر المنصور، هذا إذا ما علمنا

= «كداد» بمعنى غنم كما جاء ذلك في المسعودي، وان هذه البقعة قد نزلها الآراميون العرب قديماً، كما تدل أسماء عدة أماكن في جوار بغداد كالكرخ والشماسية..

أنظر: التفاصيل، د. عبد العزيز الدوري، العصر العباسي الأول، بغداد، ١٩٤٥، ص٩٦-٩٧.

(٢٧) أنظر ما ورد في أعلى، هامشي (١١) و (١٢)..

(٢٨) انظر: الهمداني، بغداد مدينة السلام، ص٢٨ ولم يشر الهمداني إلى كون هؤلاء الناس أعاجم أو فرس.

(٢٩) أنظر: الهمداني، بغداد مدينة السلام، ص٢٩.

(٣٠) قال أبو جعفر المنصور: هذا موضع ابني فيه، ووضع أول لبنة بيده وقال: بسم الله والحمد لله والأرض يورثها من يشاء من عباده والعافية للمتقين، ثم قال: إبنوا على بركة الله.

أنظر الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٣٩.

أن أبا جعفر لم يطلق إسماً معيناً على مدينته منذ الوهلة الأولى، وإلى هذا يشير إبن رستة: «أن المنصور بناها ولم يسمها»(٣١).

ثالثاً: أن أبا جعفر المنصور إستعمل «إسم بغداد» أثناء اختياره للموضع الذي بنى عليه مدينته، وذلك إستناداً إلى رواية يذكرها الخطيب البغدادي وينسبها إلى إبن أبي الأغر، وبتعقيب للشيخ أبي بكر عليها حيث يقول هذا الأخير: والمحفوظ أن هذا الاسم (بغداد) كان يعرف به الموضع قديماً قبل أبي جعفر المنصور، وقول ابن أبي الأغر هذا: أن المنصور هو الذي سمى الموضع بغداد لم يتابعه عليه أحد(٣٢).. لو أخذنا بهذه الرواية، نستطيع أن نخلص منها بثلاثة أمور: الأمر الأول: أن فيها ما ينم بأن المنصور قد سمى هذا الموضع بإسم بغداد وإن كان هذا الاسم معروفاً قديماً ولكن المنصور لم يطلق هذا الاسم رسمياً على مدينته الجديدة.

والأمر الثاني: أن استعمال أبي جعفر المنصور لاسم بغداد قد زاد من أهمية هذا الاسم ومكانته وشيوعه في التداول والاستعمال خاصة وأن ذلك كان على مرأى ومسمع من جمهور الحاضرين معه.

وأما الأمر الثالث وهو المهم: وهو أن أبا جعفر المنصور قد نطق أو لفظ إسم بغداد لفظاً عربياً لا تشوبه شائبة أعجمية أو فارسية.

رابعاً: بدأ أبو جعفر المنصور في بناء مدينته الجديدة في عام **١٤٥هـ/٧٦٢م** ثم انتقل إليها عام **١٤٦هـ/٧٦٣م**(٣٣) ولم يطلق عليها أي إسم خلال هذه الفترة، حتى إفتتحها وسط حفل كبير، ثم أطلق عليها -

---

(٣١) أنظر: ابن رستة، كتاب الأعلاق النفيسة، بريل، ١٨٩١، ص٢٣٨.

(٣٢) أنظر: الخطيب البغدادي، بغداد أو مدينة السلام، ج١، ص٦٢.

(٣٣) وقد توقف البناء بسبب ثورة محمد النفس الزكية بالمدينة المنورة، وثورة أخيه ابراهيم بالبصرة.

يشير الطبري: فلما بلغ الحائط مقدار قامة وذلك في سنة ١٤٥هـ أتاه خبر خروج محمد فقطع البناء..

وبعد عرض أسماء عديدة-إسم مدينة السلام. وقد كان لهذه الفترة الزمنية عامل مهم ومساعد على شيوع إستعمال إسم - «بغداد» وترسيخه في أذهان الناس، فلا غرو والحالة هذه إن كان الناس يتسائلون، أو يسأل بعضهم البعض-خلال هذه الفترة الزمنية-أي مكان إختاره أبو جعفر المنصور لبناء مدينته الجديدة؟.. وما إسم هذا المكان أو الموضع؟... فكان طبيعياً أن يكون الجواب لبعضهم البعض «بغداد»، خاصة وأن أبا جعفر المنصور لم يطلق عليها إسماً معيناً بعد، وأن إسم بغداد كان معروفاً ومتداولاً بينهم قبل وخلال بناء المدينة الجديدة.

خامساً: وعلى صعيد بناء المدينة أيضاً، فقد اشتغل في بنائها مائة ألف من أصناف المهن والصناعات(٣٤). وقال سليمان بن مجالد: وجه المنصور في حشر الصناع والفعلة من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط والبصرة فأحضروا، وأمر باختيار قوم من أهل الفضل والعدالة، والفقه والأمانة والمعرفة بالهندسة، فجمعهم، وتقدم إليهم أن يشرفوا على البناء(٣٥).. لا شك أن استخدام هذا العدد الكبير من أصحاب المهن والصناعات، ومن مختلف الأمصار والولايات له دلالته الكبيرة في شيوع استعمال إسم بغداد، خاصة وان هؤلاء لم يعرفوا إسماً رسمياً معيناً لهذه المدينة التي عملوا على بنائها منذ عام ١٤٥هـ وحتى عام ١٤٦هـ غير إسم بغداد حيث كانوا يتداولونه فيما بينهم طيلة فترة مدة البناء هذه.. ولا شك

= أنظر الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٤١.

وكان أبو جعفر قد هيأ لبناء المدينة ما يحتاج إليه من خشب وساج، واستخلف مولى له يقال له «أسلم» فلما بلغ أسلم أن ابراهيم بن عبد الله قد هزم عسكر أبي جعفر، أحرق ما كان خلفه عليه أبو جعفر من ساج وخشب خوفاً أن يأخذ منه ذلك.

أنظر: نفسه، ج٩، ص٢٦٠.

(٣٤) انظر: اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٧، وابن رستة الأعلاق النفيسة، ص٢٣٨.

(٣٥) انظر: الهمداني، بغداد مدينة السلام، ص٣٢.

أن بعضاً من هؤلاء الفعلة والصناع من بقي منهم في المدينة من بقي، ومن عاد منهم إلى بلده من عاد وهو يحمل معه إسم بغداد، فلا غرو والحالة هذه أن ينتشر هذا الاسم ويذاع بين الناس ويستعمل حتى على ألسنة المسؤولين وغيرهم من مختلف هذه الولايات من ولاة، وقواد وقضاة وغيرهم، وتتداوله أقلام الكتاب والشعراء والمؤرخين.

ولو فرضنا أن أبا جعفر المنصور قد أطلق منذ البداية على مدينته الجديدة إسم مدينة السلام أو أي إسم آخر بين هذه الألوف المؤلفة من الفعلة والصناع، وأهل العدل، والفضل والفقه والأمانة والمعرفة بالهندسة والذين قدموا من مختلف الأمصار والولايات لشاع هذا الاسم أو ذاك ولساد على إسم بغداد، ولكن مثل هذا لم يحدث.. وهكذا قدر لاسم بغداد أن يسود ويخلد عبر العصور التاريخية...

سادساً: لما أطلق أبو جعفر المنصور إسم «مدينة السلام» على مدينته الجديدة، لم تكن هناك من وسائل الدعاية والاعلام والنشر، بحيث يذيع صيت هذا الاسم الجديد، وينتقل إلى مختلف الولايات والاقاليم في العراق، والشام، ومصر، والحجاز، وبلاد فارس، وشمال أفريقيا.. الخ(٣٦)، فلا عجب والحالة هذه أن يبقى سكان هذه الأقاليم لا يستعملون هذا الاسم الجديد، ما دام إسم بغداد شائعاً ومستعملاً بينهم على ضوء الأمور المشار إليها آنفاً.

(٣٦) ترد إشارة في كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغرى بردى: ((أن المنصور لما فرغ من بناء بغداد، وتحول إليها أمر أن يكتب إلى الآفاق، وأن يرد عليه الخطباء والعلماء والشعراء))، ج٢، القاهرة، ص٥.

والملاحظ، من هذه الرواية أن ابن تغرى بردى نفسه يستعمل إسم بغداد. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أنه لم تصل إلينا مضامين هذه الكتب وفحواها، وخاصة ما يتعلق منها في استعمال «مدينة السلام» أو إسم «مدينة بغداد»، وكذلك لم ترد إلينا ردود الفعل الذي أحدثته هذه الكتب في نفوس الخطباء والعلماء والشعراء بخصوص هذا الموضوع.

سابعاً: يبدو أن أبا جعفر المنصور حينما أطلق إسم مدينة السلام على مدينته الجديدة، لم يستعمل من الوسائل الترغيبية أو من الوسائل الدعائية المشجعة الأخرى، خاصة على الصعيد الشعبي، أو على صعيد الشعر والتاريخ، وأنه لم يصدر أوامره ينهي فيها أو يمنع باستعمال إسم غير مدينة السلام، ولم ترد إلينا إشارات من مصادرنا بهذا الخصوص، فلا غرو أن يستمر استعمال بغداد بين الناس وهو الاسم المتغلغل في نفوسهم...

ثامناً: لعب الاخباريون والرواة والمحدثون، دوراً مهماً في شيوع إسم بغداد، فاذا استثنينا الوثائق وضرب النقود والروايات والوقائع الرسمية(٣٧)، التي غالباً ما تستعمل إسم مدينة السلام، نجد أن معظم الرواة والمحدثين كانوا من الناس الذين شاع إسم بغداد بينهم، وإذا ما عرفنا أن معظم مؤرخينا كانوا يستقون أخبارهم ورواياتهم من ألسنة الرواة والمحدثين من الناس، لذا نجد أن إسم بغداد كان يطغى في الاستعمال عند هؤلاء المؤرخين على إسم مدينة السلام..

تاسعاً: وفي مجال اللغة والأدب والشعر خاصة، شاع أو ساد استعمال إسم بغداد على إسم مدينة السلام، ففي مجال الاستعمال اللغوي، أو اللفظي بصورة خاصة، إن صح لنا القول فقد أصبح إسم «بغداد» أكثر تقبلاً لدى الشعراء في استعمالها الشعري في الوزن والثقافية، لذا لم نجد إلا نادراً ذكر إسم مدينة السلام أو دار السلام في مجال الشعر العباسي(٣٨)..

(٣٧) يقول الهمداني: الناس يسمونها بغداد، والخلفاء يسمونها مدينة السلام، ص٢٨.
ويعني هذا أن إسم مدينة السلام كان يستعمل في نطاق الأخبار وضرب النقود والوقائع الرسمية، وسنقدم دراسة مستقلة بهذا الخصوص إنشاء الله.

(٣٨) لقد تصفحنا معظم الشعر العباسي، فكان معظمه ان لم يكن كله يستعمل إسم بغداد ولم نعثر إلا على أبيات قليلة تناولت إسم مدينة السلام أو دار السلام، وهذا سوف نذكره في بحثنا المستقل عن مدينة السلام ومدى استعمالها التاريخي..

وأخيراً لا بد أن نشير هنا إلى أن أسماء أخرى أخذت تظهر وتشق طريقها إلى الاستعمال على ألسنة الناس، وعلى صعيد الشعر والتاريخ إلى جانب إسم بغداد ومدينة السلام مثل: دار السلام، ومدينة المنصور، ومدينة أبي جعفر، والمدينة المدورة، - والروحاء، والزوراء.

وبعض هذه الأسماء قد ظهر استعمالها وتداولها بعد انتقال أبي جعفر المنصور، وأثناء تفكيره في اختيار إسم معين لمدينته الجديدة، وخاصة الأسماء الأربعة الأولى، وكان بعضها معروفاً قبل ذلك، خاصة إسم الزوراء، ولكنه أخذ يظهر إلى الاستعمال والذيوع أيضاً. ولكن ظهور مثل هذه الأسماء وتعددها واستعمالها على مختلف الأصعدة، لم يحدث تأثيراً كبيراً على سيادة إسم بغداد واستعمالها... وختاماً: فقد شكلت كل هذه الدوافع والاسباب - وقد يكون غيرها-الجذور التاريخية البعيدة، كما وضعت الأسس والقواعد الراسخة في إستمرارية سيادة إسم بغداد واستعمالها منذ بناء أبي جعفر المنصور مدينته الجديدة على نهر دجلة وحتى الوقت الحاضر، وسيبقى إسم بغداد خالداً أزلياً أبد الدهر...

الدكتور عواد مجيد الأعظمي
كلية الآداب-جامعة بغداد